خلاصة الشعر

Sabah_ alkass@yahoo.com

صباح القس/ بغداد

وشادنٍ قلبي به معمودُ
شيمتُه الهجرانُ و الصدودُ
لا أسأمُ الحرصَ ولا يجودُ
والصبرُ عن رؤيته مفقودُ
زنّاره في خصره معقودُ
كأنه من كبدي مقدودُ

هذه الابيات للشاعر بكر بن خارجة.. نشأ وعاش في الكوفة.كان ضعيف الحال. لم يسعَ الى التكسب بالشعر لذلك فهو لم يتصل باعيان القوم ولم يعرف عنه مدحه احدهم، لذلك فلم يهتّم به مدوّنو الادب وكتّابه.

فرواة الادب ومحدثوه يهتمون بالكتابة للامراء والخلفاء ورؤساء القوم وطالما ان هذا الشاعر لم يتصل باحد منهم فلا مكان له في كتبهم الا ما جاء عفو الخاطر فقد جاءت اخباره مبثوثة في بعض المصادر.

والسبب الاخر ان الشاعر انصرف الى الغزل واكثر من الغزل الغلماني تماشيا وتقليداً لسياق العصر وقد اتخذ له غلاماً يتغزل به رغم فقره.

ومهنة الوراقة التي اتخذها وسيلة للعيش "كل ماله علاقة بالكتب كالاستنساخ والبيع والشراء" لم تعطه دخلاً كافياً للصرف، وهو المولع بالخمر والنبيذ.

لكنه رغم هوسه بالخمر والغزل كان رقيق اللفظ والمعنى، يوافق لفظه معناه.مليحا في مبناه. لينا طيبا يميل ويكثر من المجون في فحواه.

تقول الرواية: رأيت بكر بن خارجة يبكر في كل يوم بقنينتين، من شراب الى خراب من خرابات الحيرة. فلا يزال يشربه الى ان يسكر، ثم ينصرف.

وقد اثرت الخمر عليه فأفسدت حياته وعقله. حتى انه رضي لنفسه ان يمدح ويهجو بدرهم او بدرهمين كقوله

هَبْ لي فديتك درهماً
او درهمين الى الثلاثة

وهذا شعر ضعيف مرذول مبذول والشاعر هنا يكون اقرب الى الاستجداء فهذا اشرف من وضعه ضمن قائمة الشعراء.

وقد جن جنونه يوماً عندما حرّم احد امراء الكوفة الخمر، فقام جنوده بكسر دنان الخمر فساحت الخمر في الشوارع، وملأت الطرقات فبكى وقال

يالقومي لما جنى السلطان
لايكوننْ لما اهانَ الهوان

فهو يعتبر هنا ان اكبر الهوان هو اهانة السلطان لما في الدنان ومن جميل شعره قوله في غزله باحداهن

كيف احتراسي من عدوّي اذا
كان عدوّي بين اضلاعي؟
لما دعاني حبّها دعوة
قلت له: لبيك من داعٍ.

وعدوّه في البيت الاول هو قلبه

اما الابيات المتقدمة فهي في الغزل الغلماني، وشادن يعني الغلام الذي يشبهه بالغزال فهو به معمود اي متيم ولكن هذا الغلام غلب على طبعه الهجران والصدود.

وهو في البيت الثاني يداوم ويحرص على استمراره في هذا المنحى رغم ان صاحبه لايجود، وهو هنا يعاتب هذا الصاحب على جحوده وانكاره، حتى ان شاعرنا بدأ يفقد صبره.

وفي البيت الاخير يصف هيأه الغلام فقد وضع زناراً على خصره وتحزّم به وهذا الزنار او الحزام اثار الشاعر واغراه فرآه كانما قد اقتطع من كبده، ومقدود اي مقطوع.

الشعر نوع من الجنون، وفيه فنون، وشاعرنا بغلامه مفتون، ولله في خلقه شؤون. وهكذا هم الشعراء.فيهم العقلاء، وفيهم السفهاء، اللهمّ ابعدنا عن كل بلاء يارب الارض والسماء.

ندوة ثالثة وأخيرة لمجلس الثقافة والفنون ضمن موسمه الثقافي للعام الحالي

محاضرة عن الثقافة الاقتصادية للمواطن العراقي بمشتركاتها وخصوصياتها

الموصل/ سامر الياس سعيد

اختتم مجلس الثقافة والفنون سلسلة محاضراته التثقيفية بمحاضرة حملت عنوان "ثقافة الرجل الاقتصادي- الخصوصية والمشتركات" للدكتور احمد منصور أستاذ الفكر الاقتصادي والاقتصاد الإسلامي في كلية الإدارة والاقتصاد وذلك في ندوة موسعة شهدتها قاعة المؤرخ الموصلي سعيد الديوةجي في مركز دراسات الموصل.. بدأت الندوة بتلاوة آي من الذكر الحكيم تلاها الأستاذ ماهر عزيز فيما قدم الصحفي قحطان سامي نبذة موجزة عن مجلس الثقافة والفنون وسلسلة من أنشطته التي اضطلع بإقامتها ثم تلت ذلك كلمة لرئيس المجلس الأستاذ شفاء العمري بين فيها طموح الجمعيات والاتحادات المنضوية تحت خيمة المجلس للقيام بدور حيوي لمنع الثقافات الوافدة والتي غزت البلد بعد احتلاله في ربيع عام ٢٠٠٣.

وتابع العمري إن مسؤولية الثقافة المجتمعية ليست كفيلة بالمجلس بل تلعب أدوارها العديد من المؤسسات الأكاديمية والهيئات التي ترتقي بثقافة المواطن العراقي وتنويره بواجباته وحقوقه، وأشار رئيس مجلس الثقافة والفنون إلى المحاولات التي ينتهجها البعض لعرقلة مسيرة المجلس الذي تأسس عام ٢٠٠٤ بمشاركة المنظمات المهنية والنقابية مثل اتحاد الأدباء والكتاب في نينوى وجمعية التشكيليين العراقيين في نينوى واتحاد المسرحيين العراقيين في نينوى واتحاد الموسيقيين العراقيين في نينوى وجمعية الشباب الثقافية الموصلية واتحاد الشعراء الشعبيين في نينوى، مضيفا بان تأسيس المجلس جاء في اثر الشعور لدى النخب المثقفة بضرورة توحيد كلمتهم إزاء مجريات الأحداث الصعبة والمؤلمة التي ألمت بالوطن.

وقدم الصحفي قحطان سامي نبذة عن المحاضر احمد منصور الذي يضطلع بتدريس الفكر الاقتصادي ولديه ماجستير في التاريخ الاقتصادي ودكتوراة عن الفكر الاقتصادي فضلا عن إعداده وتأليفه للعديد من البحوث المتخصصة بالاقتصاد ونشرها في الدوريات المحلية والعربية والدولية كما شارك بعدة مؤتمرات تخصصت بهذا الجانب داخل العراق وخارجه وله مؤلف يحمل عنوان عدالة التوزيع والتنمية الاقتصادية صدر العام الماضي عن مركز الدراسات العربية..

إما المحاضر احمد منصور فأشار في محاضرته إلى العديد من المحاور التي بدأها بنبذة تاريخية عن الفكر الاقتصادي انعكاسا لتجربة الفلسفة الإغريقية وبالأخص فلسفة أرسطو وتناول في محور التاريخ نماذج حية من المداخل التاريخية التي عززت مركزية الثقافة والإبداع على المستوى العالمي مهملا جوانب من الحضارة العربية والاكتفاء بما أبرزته الحضارات الغربية على حساب تجارب العرب في الفكر الاقتصادي كما سلط المحاضر الضوء على الهوية الحضارية التي تحكم الانتماء لسلوكية الرجل الاقتصادي مشيرا إلى العديد من المشتركات منها تجاوز الانتماء للمجتمع والبيئة الاجتماعية وتحديد المفاهيم ومنح مفهوم الثقافة تعريفا مختصرا بناءا على اكتسابه لصفات العلم والمعرفة كما أشار إلى إن الثقافة عموما تحمل في الذهن وتتجسد عن طريق السلوك والسلوك رصد لمسيرة الفرد فهما يبقيان كمفهومين يكمل احدهما الأخر.

وزاد المحاضر الدكتور احمد منصور في سياق محاضرته إلى المراجع العديدة التي استعان بها والتي أشارت إلى الدور المؤثر للفلسفة الإغريقية وأرسطو بالذات في ظل تغييب الأدوار العربية المهمة التي تحكم السلوك الاقتصادي، وأشار إلى اعتراف بعض المفكرين المتخصصين بشان أصل ملحمة الأوديسة الإغريقية ونسبها إلى حكايا شرقية تم تأويلها وإلباسها الطابع الإغريقي الذي أبقى على أصلها البديل دون الخوض عن تفاصيل مرجعيتها كما تناول منصور بعض النماذج الغربية التي أشارت بدقة إلى الفكر الاقتصادي كما أوضحها المفكر اسكندر بريبه والذي بحث عن تشظي الأسطورة دون التزام أساسها والذي يحمل من المبالغات بشكل يفوق الوصف.. كما تابع المحاضر العديد من المحطات التي حظيت باهتمام الحضور مما انعكس على الكثير من الآراء والطروحات التي أبروزها في مشهد المناقشات والذي تلازمن المحاضرة والتي اختتمت به الندوة التي تعد الثالثة والأخيرة ضمن موسم مجلس الثقافة والفنون في الموصل فضلا عن محاضرتين ألقاهما أكاديميون متخصصون كالدكتور محمود السامرائي والدكتور هاشم الملاح.

دفاعاً عن الجنون

شاكرمجيد سيفو

١ - حين ينفث " دودو*"
دخان روحه
في الهواء
تتعلق به آلاف الكائنات
وتحلق عالية بأتجاه
سومر..
٢ - شموس صغيرة
تسرق قلوب صغيرات
يتعلقن بذيل قوس قزح
حزين..
٣ - ذات ليلة ثلجية
رأيتُ قبراً يطيرُ بأمواتهِ
وأمواتهُ يصيحون على
الأحياء،
أنْ يصعدوا معهم الى
سماء بيضاء..
٤ - ذات صباح أسوْدْ
رأيت حشوداً من
الديكة السود
تطير بمريلة الكاهن
البيضاء
وتنقر صليبه ....
٥ - ذات مساءٍ أبيضَ
رأيتُ راهبةَ تطيرُ على
ظهرَ
غيمة سوداء
والغيمةُ تسرق
بياضها...
٦ - المجانين يستحمّون
برغوةِ فراغهم
وشخابيطهم يُفقهها
رماد حياتهم....
٧ - الموت إستراحة العقل
والحياة جنونهُ ...
٨ - حين كان يفكّرُ في
الإستحمام
إسودّت السماء
فغرق في كآبتهِ...
٩ - دفاعاً عن الجنون
سأقتني منطاداً من
الشمع
وعصا كهرُبا روحية
وجلافة للعقل...
١٠ - سأحيلَ جسدي
على التقاعد،
بإستثناء رأسي...
١١ - كي أتوّجَ الجنونَ
براية العقل
سأفزعُ حمامات مشفى
الرشاد ...

* .. دودو- كاتب سومري

معرض في برلين

بهرا- وكالات

في العاشر من ايلول الحالي يفتتح في برلين العاصمة الالمانية، شارع باربا روسا ٦٥ معرض للفن التشكيلي بعنوان "Bagdad-Moskau-Berlin Das Dreieck"، وعنوان المعرض باللغة العربية هو "المثلث: بغداد - موسكو - برلين" يساهم في هذا المعرض من العراق منير العبيدي و من روسيا يوري أرفييف، فيه يعرضون أكثر من ثلاثين عملا من الأعمال المائية و المصغرات.

يوري أرفييف من مواليد سنة ١٩٥٠ في موسكو درس الفنون التطبيقية في مدرسة الفنون التطبيقية في العاصمة الروسية في الفترة بين ١٩٧٩- ١٩٨١، و هو عضو رابطة الفنانين والمصممين ويعيش منذ عام ٢٠٠٠ في برلين.

منير العبيدي من مواليد ١٩٤٩ العراق درس التاريخ في جامعة بغداد و العلوم الاجتماعية في موسكو و كان عضوا في المرسم الحر باشراف الراحل الدكتور خالد الجادر في العام ١٩٦٩ و عضو في جماعة الآداب و مساهم في معرضها المقام عام ١٩٧٠ وقد أقام سبعة معارض شخصية اثنان منها في بغداد على قاعتي الرشيد و الاورفلي و شارك في العديد من المعارض المشتركة في العراق و عمان و الامارات و تونس و المانيا، و هو الآخر يعيش في برلين منذ عام ٢٠٠٠.

اسم المعرض "المثلث" مستمد من الشكل الذي تكونه المدن الثلاث: بغداد موسكو برلين أي الدول التي نشأ فيها الفنانان والتقيا في المدينة الثالثة برلين. سبق ليوري ارفييف ومنير العبيدي أن عرضا أعمالهما سوية في معرض مشترك اسمه "الصدفة - اللقاء" ضم فنانين آخرين في كاليري شارلي في العاصمة برلين في الفترة من ١٤ الى ٢٢ من شهر نيسان من السنة الحالية، كما سبق لأرفييف والعبيدي أن عملا في المؤسسة الفنية الألمانية المسماة "عش الغربان" التي تضم العديد من الفنانين من مختلف الاختصاصات والتي قامت بتنظيم العشرات من المعارض والحفلات الموسيقية و العروض المسرحية ومختلف الفعاليات الفنية الأخرى في العديد من مقاطعات برلين وفي البلدات المجاورة لها.

يشارك في المعرض أيضا توم اولبرشت بتقديم عرض ضوئي يقدم في يوم الإفتتاح.

وفي حفل الافتتاح أيضا ستقدم الفنانة الروسية

أرينا بالتون أغان روسية.

أما الفنان الألماني من أصل تركي اوروج كوربوز فيقدم مقطوعات شرقية. سبق لهذا الفنان ان قدم عرضا موسيقيا شمل العديد من الآلات الوترية والهوائية كالناي والعود والساس وغيرها في المعرض السابق المقام على كاليري شارلي، وكان ضمن هذه المقطوعات واحدة باسم بغداد تحمل في ثناياها الألم لما حل بالعاصمة المجيدة.

همسة

لونا يوراش هيدو

حين يهل الشتاء...
وينتهي موسم الازهار تشرق
دموعنا بلحن الغروب، وتحت جنح
الدجى يحمل نسيم نيسان
ويمر الربيع...
ومن خميلة الياسمين يفوح عطرك،
وحين تسدل السحب على النجوم
فأن الليل يدجو وتطفىء الريح

فصول دجلة

السراج

يا من يلتقط اناشيد الغروب، يا
ساكن احلامي التي لا نهاية لها
فقلبي وجد سماءه فيك يا دجلة
ويأتي الصيف. مكملا الربيع
وتتم الشمس اوجهها وتنعكس
اشعتها فيك فنرى الدنيا فيك يا دجلة
وخريفك... وانيا وازهار الاشجار
تتهاوى على تراب ضفتيك...
ايها النهر المتدفق دوما نحن
نرقص على ايقاع ارتفاعك
وانخفاضك ونلعب سواء خسرنا
اللعبة ام ربحنا
نناديك بتغريد الطيور ونشير اليك
بهز الاغصان
ونغني لك في روعة السحب
ونمزق جراب الزمن...
ولكي تكتمل فصول حياتي معك
فانني استنشق عبق صوتك فتتوقف
الكلمات اجلالا لك يا دجلة.

الجزء الاول

الحياة بلا رقابة... مذكرات الأدباء والفنانين والسياسيين

وارد بدر السالم

المرأة في جوهرها آلةً للألم- بيكاسو

ما من روح ممتازة تخلو من جنون يخالطها- أرسطو

يندرج أدب السيرة الذاتية في حقل السرود الأدبية التي أضحت تشكل مشهداً واسعا من الثقافة الإنسانية العامة، وجنسا أدبيا مستقلا يكشف ويوثق المستتر من الحياة الإجتماعية والسياسية والإقتصادية للأدباء والعلماء والفنانين والسياسيين، لا بوصفه كشافا ذاتيا حسب، بل هو كشاف اجتماعي -سياسي- ثقافي وشاهد على مرحلة أو مراحل وطنية وقومية شاملة بكل ما فيها من صراعات مختلفة، أنتجت ثقافتها العامة عبر انعكاساتها على الذات وما يفرزه المجموع "الإجتماعي - السياسي" على الفرد الذي يكون في زمان ومكان مشخصين. هذا النوع من الكتابات الذي يحظى باستقبال شعبي ونخبوي معاً هو جنس أدبي خالص لن تحدده " قوانين" أدبية ونقدية، بوصفه نتاجا عقليا فرديا مستخلصا من تجارب حياتية متداخلة، اختلط فيها الشخصاني / الفردي بالعام / الجمعي والاجتماعي بالسياسي والأدبي بمكوناته وتياراته المستحدثة في ظرف من ظروف الولادات الأدبية المستمرة. ثمة مسميات للسير الذاتية، لكنها في اختلافاتها تعني التجربة الشخصية المحضة، فأدب السيرة الذاتية هو أدب " المذكرات" وأدب " الإعترافات" وأدب " الذكريات" وأدب "التجارب" فالمسميات هنا نسبية لا يقف القاريء ولا حتى الناقد أمامها كثيراً بقدر ما يقف أمام المحتوى الإنساني والأدبي وتفريعاتهما الكثيرة ومدى مصداقيته أمام التاريخ المنسحب والقادم ومدى صموده بالحقائق التي يتوفر عليها وبالتالي يقف أمام شجاعة كتاب هذا النوع الأدبي واعترافاتهم في لحظات ضمير الكتابة العارية، لتكون الحياة بلا رقابة ولا رقيب هذه المرة وبلا وصايا إيديولوجية.

أشهدُ أنني عشتُ

تنطلق بعض السير الذاتية من الخاص الى العام فتؤرخ مساحة أدبية واجتماعية وسياسية، لتبلور الصيغ الثقافية المحلية كنتائج جمالي الفرز من تلك المساحة بأركانها مجتمعة، كما

أنني عشت" حيث ترافق الشعري باليومي، واليومي هنا سياسي واجتماعي وأدبي، كما ترافقت رؤيا نيرودا بالأحداث السياسية الكثيرة التي شهدها وعاشها لا كشاعر فحسب، إنما كفرد اجتماعي قيض له أن يكون شاهداً وموثقاً على فترات عصيبة من تاريخ تشيلي.

وثمة سيرٌ أدبية منعكسة التوجه من عموميات معلومة الى خصوصيات مستترة دفنتها الرمال فأيقظها قلم الشيخوخة وضمير الكتابة الأخيرة كاعترافات لابد من توثيقها شهادة ودرسا وعبرة وحكمة مستنبطة من شوط الحياة الطويل، لا بوصفها عظات مدرسية، لكنها حكمُ الكتابة في آخر تجلياتها الحقيقية. وكلا النوعين من الكتابة يبتغيان بلورة صيغة شخصية تنفصل عن العام الاجتماعي أمام أحداث ووقائع أسهمت في صيرورة وتكوين الذات الأدبية.

رسائل ومذكرات

بعض السير والمذكرات تكتب اعتماداً على وثائق شخصية وأخرى يومية من بيانات ومنشورات وصحف وقرارات وأحكام قضائية وفضائح سياسية واستنطاق شهود، هذا النوع غالباً ما يلجأ إليه كتاب السياسة والعسكريون المتقاعدون لأغراض التوثيق التاريخي وفحص المراحل السياسية وحقبها المتصادمة، وهي من السير التي تتمتع بالموضوعية وتتجلى فيها نسبٌ كبيرة من الصدق والجرأة وكشف المستور في دهاليز السياسة، وقلما يلجأ الأدباء الى هذا النوع من الكتابة، فهم ليسوا مؤرخي سياسة ولا فاحصي أدوار غامضة في الحياة، لكن اعتماد الرسائل الشخصية أمرٌ فيه من التوثيق والفوائد ما يسند العمود الفقري لهذا الجنس النوعي من الكتابة، كما في الرسائل التي تركها الشاعر الراحل بدر شاكر السياب والتي تعد من الوثائق الشخصية التي لا غنى عنها للدارسين والباحثين وأصدقاء السياب الذين لم يكتبوا مذكراتهم حتى الآن!

روائيون وشعراء وفنانون من شتى الأجيال، شرقا وغربا، نتعامل مع مستخلصاتهم الأدبية لا بطريقة الفحص الداخلي، لكن بطريقة الفحص الجمالي ونتطلع الى مقدار الفن الذي يميز أعمالهم، وقد نستشف "بعضاً" من سيرهم الذاتية وصورهم القديمة، لاسيما في السرد الروائي، لكنها غير كافية لإقرار "النوع الشخصي" في تلك الأعمال ويقع في خانة "غير المصرح به" علناً

من سيرهم الشخصية وذكرياتهم البعيدة في مشغلهم الأدبي. البعض يعمد الى استخدام مهارته الفنية في كتابة سيرته بشكل عمل روائي، أو بطريقة روائية، يختلط فيها الواقع بالخيال، عماده اللغة والتداعيات والاسترسالات والصور، ليوفر مساحة عريضة تستوعب دروس حياته الحاشدة، كما فعل ماركيز في مذكراته " عشت لأروي" التي تعد عملا روائيا غنيا بالمعلومات والأحداث والمواقف التي وظفها ماركيز في جل رواياته، وكذلك ما تركه لنا رسول حمزاتوف من مذكرات شيقة في كتابه "داغستان بلدي" الذي يعد موسوعة معرفية وجمالية عن داغستان اختلط فيها الجغرافي الجبلي الأسطوري بخرافاته وحكاياته وأشعاره، بالحياتي الذي لا نظير له في حياة الجبليين، بالإيديولوجي الذي تعامل معه حمزاتوف بإنتماء كبير، حتى بدت مذكراته وذكرياته عن الجبل الداغستاني ملحمة داغستانية في قصيدة شعرية بدت ولم تنته حتى اللحظة!.

الصين الشيوعية والسجون المغربية

أيضاً عمدت الصينية "تنغ - هسنغ يي" في ورقة الرياح القارسة" الى كتابة سيرتها بطريقة روائية مؤثرة تحدثت فيها عن الصين الشيوعية إبان الثورة الثقافية التي قادها ماو تسي تونغ وما تلا ذلك من أحداث ووقائع مهولة عصفت بالمجتمع الصيني بعد وفاته. وبقدر ما كانت هذه المذكرات شخصية جداً، إلا أنها رسمت بانوراما اجتماعية وسياسية لحياة الصين في حقبة عصيبة من حقبها الإيديولوجية التي فرضت نواميسها القاسية في المجتمع المؤدلج، فقدمت "تنغ" وثيقة تاريخية مهمة محكمة الوقائع.

كذلك فعلت فاطمة أوفقير وابنتها مليكة أوفقير في الثلاثية الرائعة "السجينة - الغريبة - حدائق الملك" في استثمار عنصر التوثيق الواقعي في مسرد روائي بالغ التأثير لتقديم صورة كالحة عن السجون المغربية والعذابات الشخصية التي تعرضت لها أسرة كاملة في ظرف ما وواجهت السجن لمدة تسعة عشر عاما في اقسى الظروف التي كان على تلك الأسرة مواجهتها بشجاعة.

والروايات" السيَر" الثلاث بدت متشابهة من نقطة انطلاقتها، لكنها سجلت سيرة حياة أسرة واحدة كابدت كوابيس السجون الصحراوية المتنقلة وتمثلت في استحضار ذكريات مُرة ومريرة لسنوات الجحيم التي تخللتها احتمالات

في مذكراتها الرائعة "بساط من الزهر الأحمر - البحث عن أفغاني" يعد تسجيلا وافرا لحياة شعب منطلقة من سيرة ذاتية روت فيها ذكرياتها الطويلة عن أفغانستان الممزقة بالحروب، لاسيما قصة طفولتها وهربها الى كندا ونجاحاتها اللاحقة في التمثيل والصحافة والكتابة الجمالية، وتوقفت كثيرا عند مرحلة الغزو السوفيتي لبلادها ومن ثم اليوميات المروعة لجلادي أفغانستان المتسترين تحت أغطية دينية مختلفة، مسجلة بذلك صورا يومية كالحة السواد عن حياة شعب فقير اقتحمته الحروب وكوارث الإيديولوجيات المتطرفة.

مذكرات في المكان

" الطريق الى غريكو" ملحمة كريتية كتبها " نيكوس كازانتاكيس" في أوج تألقه الشعري والروائي بسرد باهر توفر على تقنيات روائية تستعرض وجوده الحياتي والتاريخي والأدبي والاجتماعي والمكاني أيضا لحاضنته الوطنية، ليعطي بانوراما واسعة عن جزيرة كريت وصراعاتها المسلحة مع قراصنة البحار. ويركز كازانتزاكيس في هذه الملحمة على المكان وكيف صنع قدره ككاتب وإنسان وكيف التصق بالتربة الكريتية تاريخا ووجودا.

والنوبلي " أورهان باموق" يستثمر إمكاناته السردية في الكتابة عن المدينة التي أمدته بفيوضات ثرية من الرؤى الواقعية والتاريخية، فأصدر كتابه "اسطنبول - المدينة والذكريات" متعمقا في المكان الذي رسم له طريق النجاح الأدبي عبر سرد طويل لمكونات طفولته وشبابه وما رافقهما من مؤثرات مختلفة ليصل الى نتيجة مبدئية بأن "قدر المدينة أن يكوّن شخصية الإنسان". الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري استعرض في مذكراته ذات المجلدين "سيرة العراق" عبر سيرته الثمانينية سياسيا واجتماعيا وأدبيا، وعرج على نشوء الحركات الأدبية في تلك المناخات السياسية منذ العهد الملكي حتى العهود الجمهورية المتتالية. أما عميد الأدب العربي طه حسين فسجل في يومياته "الأيام" شكلا روائيا سيريا غطى مساحة عريضة من التاريخ المصري المعاصر، فالمساحة السردية منحته حرية الحركة أفقيا وعموديا وفتحت له ذاكرة "الخيال الواقعي" الى مديات عرف كيف يستثمرها في أيامه الطويلة الغزيرة بالإنتاج والإبداع والحياة أيضاً.

عن المثقف مرّة أخرى*

هيثم حسين

مَن هو المثقف؟!.. سؤال إشكاليّ بقدر بساطته، يعاد تداوله، ويعلو صوت السائلين المتجدّدين به على مرّ الزمان، ذلك لأنّ هناك انقسام حول إطلاق هذا التوصيف على أحدهم أو حجبه عنه، تبعا لدرجة كفاءته واستحقاقه له، وهذا بدوره يعود إلى عدّة أمور، ففي المقدّمة لا بدّ أن يكون هذا المثقف مهموما مشغولا بهموم مجتمعه غير متعالٍ عليه، وغير مصطنع عوالمَ خياليّةً يدّعي أنها عوالم المثقفين، باعتبارهم النخبة التي لا يليق بها الاحتكاك أو النزول إلى مستويات الآخرين التي هي - برأيهم - دون سويّتهم وأقلّ من أن تستطيع احتواءهم..

هنالك الكثيرون من الأدباء والمفكّرين الذين تعرّضوا لوصف المثقّف، فغرامشي يقول إنه يجب أن يكون المثقف عضويّاً، فاعلا في مجتمعه ومحيطه بإيجابيّة ومنفعلا كذلك، منضمّاً إلى صفوف الشعب غير متهرّب من واجباته.. وإدوارد سعيد يؤكد بدوره على أنه لابدّ للمثقف أن يكون في طليعة المدافعين عن قضايا شعبه، ويوسّع في دور المثقف الرياديّ القياديّ، وأحيانا يصف شريحة من المثقفين بأنهم آلهة يفشلون دوما، وذلك عندما لا ينطلقون من دراسة دقيقة متأنّية لتاريخهم وواقعهم، ليرسموا صورة واقعيّة لمستقبلهم وشعوبهم، ويفرّق رولان بارت بين المثقفين الكتّاب، وبين الكتبة، حيث أنّ المثقف ينطلق من قناعاته ليكتب آراءه بصدق وصراحة وجرأة، غير هيّاب من سلطة، وغير منضو تحت لواء حوزة ضيّقة، ليكون قادراً على الرؤية من الجهات كلها خارج الدائرة التي يراد له أن يتحجّر فيها، فيكون مطلا على كل الشواطئ والجهات، مختارا الجهة التي ينبغي أن تكون الوجهة المناسبة لتوجّهه الذي ينبغي أن يكون بدوره التوجّه الأنسب لمجتمعه.. أمّا الكتبة فهم من يُملي عليهم ما يجب أن يكتبوه، يكتبون آراء وأفكار غيرهم، وتستهويهم وتبحر بهم التبعيّة التي يلتصقون بها ليكونوا الظلال، أو ينطبق عليهم قول عزيز نيسن في روايته زوبك: "كالكلب الذي مشى في ظل عربة فحسب أنّ ظل العربة هو ظلّه".. والمثقفون أنواع، منهم: الاستسلاميّ، الانتحاريّ، الفدائيّ، المثاليّ الواهم، المتأمّل الحالم، المتهرّب، المتقنّع، الرضوخ، المتذاكي الفهلويّ، المختبئ، التوفيقيّ، الإمّعة، المتعجرف، الجبان، الجريء، المقدام، الازدواجيّ، الانتهازيّ الذي يميل حيث تميل به الريح، منهم من يسكن الوكر، ومنهم من لا يسعه الفضاء كله، منهم الثعلبيّ، منهم المستأسد، ومنهم أشكال وأشكال.. يبقى أسوأهم الإرضائيّون الذي يبحثون عن إرضاء الجميع، ولا يهمّهم أن يجهروا أو يصرّحوا بقناعاتهم.. فالمثقف الحق، لا تبرّر الغاية عنده الوسيلة.. تغدو الوسيلة في أغلب الأحيان غايته.

أمّا كيف تتعامل السلطات مع هذا المثقّف أو ذاك، فهذا بدوره يختلف من سلطة إلى أخرى، ومن مثقّف إلى آخر، فأحيانا تعتمد السلطة طريقة الإخراس، وتنبّه المثقفين إلى ضرورة الاحتراس، وذلك بمراجعة ما يتفوّهون به بدقّة، كي يتحمّلوا ضريبته فيما بعد، تزرع داخل كل واحد رقيباً، ضدّاً من نفسه، يستعدي عليه أفكاره، يهوّل له في النتائج التي قد تكلفه الكثير.. وتقدم مثل هذه السلطات على تقديم رجالها المتثاقفين إلى الواجهة مانحة إيّاهم كل الامكنة المتوفرة، قاطعة الطريق على غير المنضوين تحت شعاراتها الخلبيّة، وقد تتغاضى عن بعض الحروب الوهميّة فيما بينهم، هذه التي لا تزيد على الاستئثار بفتات هنا أو امتياز سخيف هناك، كما قد تدفعهم إلى الاحتراب والتعارك، لإلهائهم، وإلهاء شرائح واسعة معهم، بخلق شعور بالحريّة في القول، ورفع سقف الحريّة في النقد.

وذلك حين تسمح بنقد سلطات ثقافيّة مولودة للتبعيّة، قارب مفعولها على الانتهاء، لتحلّ أخرى مكانها، فترضي أطرافا عديدة، أوّلا تطبّق سياستها، ثانيا تُوهم نقّاد أولئك أنّها استجابت لهم، ثمّ الأهمّ والمُهمّش معا في الترتيب، وهذه لمفارقة مُحيّرة لمن لا يدرك كنهها، الجمهورُ الذي يكون بعيداً عمّا يجري، منشغلا بجوعه وفقره "بتجويعه وإفقاره"، كافراً بالمثقّفين وهرطقاتهم.

وهذا بالضبط ما تخطط له كلّ سلطة، وتفعل المستحيل لتحقيقه، بخلق هوىً يستحيل ردمها بين الجميع، هؤلاء المتعاركين من دون أن يعرفوا أسباب عراكهم أو يتداركوا أنفسهم. تلجأ السلطات إلى شراء الأقلام، معتمدة أساليب الإغراء والترغيب، وذلك بملء الأفواه تبراً، ومن لا يرضخ لذلك أو ينقاد له، فإنها لا تتورّع عن تجريعه هولا وإسقائه جمراً، ثم يبقى قلّة خارج التصنيفين، هؤلاء الذين لا تتوانى السلطات عن محو كل أثر لمَن يحتمل أن يشكل وجوده خطراً عليها، حاضراً أو مستقبلا، وذلك بإنهائه قبراً.. التبر والجمر والقبر، هي مداميك لا غنى عنها من قبل السلطة للتعامل مع المثقف..! فهل من مثقف خارج عن هذه المعمعة في شرقنا المبتلي بكلّ حكامه وبكثيرين من مثقفيه؟!.